بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

موضوع «**دولة الظاهر برقوق وابنه فى مصر**»[1] يمثل جانبا هاما فى تاريخنا القومى وحضارتنا فى عصر المماليك، ذلك أن الظاهر برقوق قد وضع لدولته سياسة محددة، أتاحت له التصدى للمغول والصليبيين، كما حفظت لدولته زعامة العالم الإسلامى، مع دعم صداقتها فى الوقت نفسه مع الدول التى لها معها مصالح أدبية أو مادية فى أوربا وآسيا وإفريقيا، وفضلا عن ذلك فقد نتج عن السياسة التى انتهجها برقوق فى بناء دولته توطيد دعائم الحكم فيها، كما مكنته أيضًا من إنقاذ مصر وسورية من عوامل الضعف التى تعرضت لها من الداخل والخارج فى أواخر دولة المماليك الأولى، زمن أولاد الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده، وهو الأمر الذى جعل لدولة السلطان برقوق شخصيتها ونفوذها فى الداخل والخارج.

وقد اشتمل البحث على سبعة أبواب:

تناول الباب الأول ــ الحالة السياسية فى مصر قبل سلطنة برقوق، فعالج الظروف التى ساعدت على ازدياد نفوذ المماليك البرجية، والعوامل التى أدت إلى انتقال الحكم من أيدى المماليك البحرية إلى المماليك البرجية بزعامة واحد منهم وهو برقوق.

وتناول الباب الثانى ــ الموقف السياسى الداخلى فى عهد السلطان برقوق، والصعوبات التى واجهته على أثر تقلده سلطنة مصر، والأسباب التى نحته بعيدا عن السلطنة ثم عودته ثانيا إليها.

كما تناول البحث أيضًا الموقف السياسى الداخلى فى عهد فرج بن برقوق، والعقبات التى صادفته فى بداية سلطنته، وكيف اعتزل السلطنة ليتولى أخوه بدلا

---

(١) هذا البحث عبارة عن رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

منه، ثم عودته ثانيًا إلى السلطنة، ثم ما كان من انشغاله فى هذه الفترة من حكمه بمقاومة الثائرين عليه فى الشام، حتى انتهى الأمر بهزيمته وقتله.

وخصص الباب الثالث ـــ للعلاقات الخارجية فى عهد برقوق وابنه فرج، فتناول العلاقات بين مصر والدول العربية الآسيوية وهى الحجاز واليمن، وكذلك العلاقات مع الدول الإسلامية فى شمال إفريقية، وهى: دولة بنى حفص بتونس، ودولة بنى زيّان بتلمسان، ودولة بنى مَرين بفاس والمغرب.

كما عالج البحث سياسة مصر إزاء بلاد النوبة والحبشة، وكذلك العلاقات مع العثمانيين.

وتناولت الدراسة أيضًا العلاقات بين مصر والدولة البيزنطية، كما تناولت علاقة مصر بالقوى الأوربية.

أما الباب الرابع ـــ فقد تناول الجيش والبحرية فى عهد برقوق وابنه، فعالج نظام ديوان الجيش فى تلك الفترة، وكذلك قيادات الجيش وفرق الجند وأساليب الحرب فى ذلك العهد، ثم تناول الأسطول البحرى الذى أنشأه برقوق على أثر احتلاله سلطنة مصر.

وخصص الباب الخامس ـــ للإدارة، فتناول كبار الموظفين الإداريين بالعاصمة الذين يمثلون الإدارة المركزية، كنائب السلطنة، والأتابك، والوزير، ووالى القاهرة.

كما تناول الإدارة الإقليمية التى تمثلت فى عدد من نواب السلطنة بالمدن الكبرى بالوجهين القبلى والبحرى، فضلا عن معاونيهم من الولاة بالأقاليم المختلفة.

كذلك عالج تطور نظم الحكم والإدارة فى تلك الفترة، كما عالج الدواوين الحكومية التى اعتمدت عليها الأجهزة الإدارية المختلفة.

أما الباب السادس فقد خصص لدراسة الحياة الاقتصادية، فتناول الموارد المالية للدولة ومصادر الإيراد، كما تناول أوجه النشاط المختلفة لسكان البلاد من زراعة وصناعة وتجارة، وكيف نشطت حركة التجارة بأسواق العاصمة فى عهد السلطان برقوق وأفاد منها التجار كما أفادت منها الدولة، كذلك تناول هذا الباب

التدهور الاقتصادى فى عهد السلطان فرج بن برقوق، وكيف تأثرت العاصمة وأسواقها بعوامل سياسية واقتصادية، أدت إلى تدهور الحالة الاقتصادية فى الأسواق، وإثارة الخوف فى النفوس.

وخُصص الباب الأخير لدراسة الحياة الاجتماعية، فتعرض للعناصر المكونة لسكان مصر وقتئذ، وكيف أن أغلب هذه العناصر حظيت بعناية السلطان برقوق واهتمامه، ولا سيما جماعة العلماء الذين تمتعوا بقسط وافر من الاحترام والتقدير من جانب السلطان برقوق.

كذلك تناول البحث الملابس التى ميزت طبقات المجتمع المختلفة، كما تناول الأعياد الدينية والقومية وكيف اصطبغت الحياة الاجتماعية زمن السلطان برقوق بمظاهر البهجة والترف، ثم تعرّضت للانهيار على عهد ابنه فرج.

كما تناولت الدراسة نظرة برقوق إلى المؤسسات التعليمية، وكيف أن عنايته بتلك المؤسسات كانت تفوق فى كثير من الأحيان عنايته بالقصور والمنشآت الدنيوية، وقد حاكاه فى هذا الشأن الأمراء والتجار وذوو اليسار من طبقات المجتمع المختلفة.